بحوث في اللغة العربية: نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة إصفهان
العدد ١٣ (خريف وشتاء ١٤٣٦ ـ ١٤٣٧هـ. ق/ ١٣٩٤ هـ. ش)، ص ٢٣ ـ ٤١

الظواهر الصوتية والصرفية في شروح المعلقات

(شرح ابن الأنباري والنحاس كنموذجين)[1]

سميه حسنعليان ❖
سيدمحمدرضا ابن‌الرسول ❖❖

الملخص

نظراً لأهمية المعلقات في الأدب العربي من الجوانب المختلفة التفسيرية، والنحوية، واللغوية، والبلاغية اهتم بها كثير من الشراح وأولوها عناية فائقة. أشار هؤلاء الشراح في شروحهم إلى مسائل كثيرة كالنحو، والبلاغة، واللغة، والمعنى. ومن الموضوعات التي تثير الانتباه وتجدر بالبحث والتحقيق القضايا الصوتية والصرفية. لذلك يستهدف البحث هذا إلى دراسة هذا الجانب الهام في شرحين من الشروح القديمة للمعلقات هما شرحا ابن الأنباري والنحاس لشهرتهما الواسعة واهتمامهما باللغة والنحو. والمنهج الذي يتبعه البحث هو الوصفي ـ التحليلي.

تبين من خلال البحث أن ابن الأنباري والنحاس أشارا إلى القضايا الصوتية والصرفية في شرحيهما خاصة في بيان معنى الألفاظ الغريبة للمعلقات.

الكلمات المفتاحية: شرح المعلقات، ابن الأنباري، النحاس، الظواهر الصوتية، الظواهر الصرفية.

المقدمة

ما من عصر من عصور التاريخ الطويلة التي عاشت فيها الأمّة العربية إلا وبرزت فيه العناية الواضحة بالشعر الجاهلي عامة والمعلقات خاصة. تلك القصائد النفيسة التي تُصور البيئة الجاهلية تصويراً واقعياً وتدل أيضاً على النضج اللغوي عند العرب. للمعلقات مكانة مرموقة عند العلماء والأدباء لذلك نراهم يهتمون بها ويستشهدون بها في مؤلفاتهم الأدبية، والتاريخية،

١ـ تاريخ التسلم: ١٣٩٢/٩/٥هـ. ش؛ تاريخ القبول: ١٣٩٣/٥/١٩هـ. ش.

❖ أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان. Email: shassanalian@yahoo.com
❖❖ أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية بجامعة إصفهان. Email: ibnorrasool@ yahoo.com

والبلاغية، والنحوية، والتفسيرية، كما أن أثر المعلقات في النحو لا يقلّ عنه في التفسير؛ فقد حظيت هذه القصائد بجهود النحاة قديماً وحديثاً فكثرت الشواهد النحوية من شعر المعلقات وخاصة إذا اعتمدت برواياتها المختلفة. ولبعض هذه الشواهد أثر كبير في تثبيت القاعدة النحوية ولا سيّما القواعد التي انفردت شواهد المعلّقات دون سواها في تثبيتها (دويكات، ٢٠٠٠م، ص ١٤).

وبدأ كثير من العلماء بشرح هذه القصائد ولا يخامرنا شكّ أنّ هناك أسباباً مهّدت لنشأة شروح الشعر عامة والمعلقات خاصة، منها: سبب تاريخي، وسبب لغوي، وسبب عاطفي. ولعل من أهم هذه الشروح القديمة: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، وشرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ).

وقد أولى العلماء عنايتهم بالموضوعات المختلفة في هذه القصائد ومنها القضايا الصوتية والصرفية، فكان من الأهمية بمكان، تسليط الضوء على منهج الشراح (وخاصة ابن الأنباري والنحاس كنموذجين) في بيان تلك القضايا المذكورة وتوضيحها، لأننا إذا أعدنا النظر في الشروح لاحظنا أنها مليئة بكثير من القضايا الصرفية، والصوتية ناهيك عن الناحية اللغوية، والنحوية، والبلاغية، والدلالية، فضلاً عن أنها تكون مرجعاً لكثير من الطلاب ودارسي المعلقات.

من أهم الأهداف التي تقصد هذه المقالة أن تحققها: دراسة منهج ابن الأنباري والنحاس في شروحهما، والإشارة إلى آرائهما في القضايا الصوتية والصرفية. والمنهج الذي يتبعه هذا البحث هو الوصفي ـ التحليلي.

أما الدراسات التي كُتبت عن الأدب الجاهلي والمعلقات فهي كثيرة لا مجال لذكر كلها هنا، وحسب القارئ المراجعة إلى كتاب *مكتبة العصر الجاهلي* لعفيف عبد الرحمن ليحصل على مجموعة ضخمة من الكتب، والمقالات والدراسات الجامعية التي درست الأدب الجاهلي من جوانبه المختلفة الفنية والموضوعية وغيرها، أما بعض الكتب التي أفاد هذا البحث منها فهي:

ـ كتاب *الوافي بالمعلقات قراءة حديثة لخطابها الشعري وتاريخها* لطلال حرب، تولت طبعه المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بعام ١٩٩٣م.

ـ كتاب *معلقات العرب؛ دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر العربي* لبدوي طبانة، مطبوع ببيروت بدار الثقافة، بعام ١٩٨٥م.

ـ مقالة بعنوان «المعلقات» لنعمان النصيري مطبوعة في مجلة ميقات الحج، ١٠ (١٤١٩هـ): ٢٣٤ ـ ٢٦٣.

ـ رسالة جامعية بعنوان «أثر المعلقات العشر في النحو العربي» لجهاد محمد إحميد دويكات. جامعة النجاح الوطنية بنابلس. كلية اللغة العربية وآدابها. ٢٠٠٠م.

وأما الدراسات السابقة عن شروح المعلقات فهي:

ـ مقالة "گفتارى كوتاه درباره شرح شنتمرى بر اشعار شعراى جاهلى" [قول مجمل في شرح الشنتمري لأشعار الشعراء الجاهليين] للدكتورة عزت ملا إبراهيمي. مقالة مطبوعة في مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية لجامعة طهران. عام ١٣٧٩هـ.ش.

ـ مقالة «الإعراب في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر بن الأنباري: دراسة وصفية» لعلي محمد المدني، مقالة مطبوعة في مجلة جامعة الملك سعود. المجلد ٧. عام ١٩٩٥م.

ولكننا لم نعثر على بحث شامل وافٍ لموضوع القضايا الصوتية والصرفية في تلك القصائد النفيسة وهذه المهمة هي التي تكفلتها هذه الدراسة المتواضعة.

٢ـ الظواهر الصرفية في شروح المعلقات

نعني بالقضايا الصرفية في هذه المقالة ما أشار الشارحان في شرح الألفاظ إليه من مباحث صرفية والتي تعين القارئ في فهم الأبيات فهماً دقيقاً والتي أعطياها أعظم جهودهما واهتمامهما في كتابهما، إذ كل من ابن الأنباري والنحاس اهتما بالألفاظ في شرحيهما للمعلقات وهي تحتوي على مجموعة ضخمة من المفردات والألفاظ التي أصبحت بعد مضي زمن غير مألوفة لأهل اللغة ولا بد من شرحها وبيان معناها. وإن لم يكن المعنى الغاية الأولى لديهما في شرحهما ولكنا نراهما يستخدمان شرح المفردات والعبارات والنحو والبلاغة خدمة للمعنى.

من أهم هذه الظواهر الصرفية في شرحي ابن الأنباري والنحاس:

٢ـ ١ـ الإشارة إلى تذكير لفظةٍ ما أو تأنيثها

كما أشار ابن الأنباري إلى ذلك في شرحه الأبيات التالية:

إذا قامَتا تَضَوَّعَ المِسْكُ منهُما نَسيمَ الصَبا جاءَت بِرَيّا القَرَنفُلِ

"**وقال الفرّاء: المسك مذكر فإذا أنث فإنما يذهب إلى الريح وقال غيره: المسك والعنبر يذكران ويؤنثان**"[١](ص ٣٠).

إذا ابتَدَرَ القَومُ السِّلاحَ وَجَدتَني مَنيعاً إذا بَلَّت بِقائِمِهِ يَدي

"**والسلاح يذكر ويؤنث**" (ص ٢١٥).

تَهَدَّدْنا وَأَوعِدنا رُوَيداً مَتى كُنّا لِأُمِّكَ مَقتَوينا

"**قال أبو عبيد: قال أبو عبيدة: قال رجل من بني الحرماز: هذا رجلٌ مَقْتوينٌ، ورجُلان مَقْتَوينٌ، ورجالٌ مَقْتَوينٌ، كله سواء وكذلك المؤنث**" (ص ٤٠٣).

بِأَنّا العاصِمونَ بِكُلّ كَحْلٍ وَأَنّا البَاذِلُونَ لِمُجْتَدينا

"**وقال الفراء: كَحْل: سنة شديدة وهي أنثى**" (٤١٨).

وَرَمَتْ دَوابِرَها السَّفا وَتَهَيَّجَت رِيحُ المَصايفِ سَومُها وَسَهامُها

"**ويروى: "ورمى دوابرها السّفا" فمن أنّث السّفا قال: السّفا مؤنثة ومن ذكّر قال: هو ممّا يذكّر ويؤنّث**" (ص ٥٤٨).

زُجَلاً كَأَنَّ نِعاجَ توضِحَ فَوقَها وَظِباءَ وَجرَةَ عُطَّفاً أَرآمُها

"**الأرآم: ظباءٌ بيض خوالص البياض والواحد رئم والأنثى رئمة**" (ص ٥٣١).

وإليك بعض النماذج من شرح النحاس: قال في شرح البيت الـ٧٦ لامرئ القيس:

ومَرَّ عَلَى القَنانِ مِن نَفَيانِهِ فَأَنزَلَ مِنهُ العُصمَ مِن كُلِّ مَنزِلِ

"**العُصْم: الوعول، واحده أعصم، والأنثى أروية وعصماء**" (ج١. ص ٤٧). أو قال في شرح البيت الـ٢٣ لزهير:

فَأَصبَحَ يُحْدى فيهُمُ مِن تِلادِكُم مَغانِمُ شَتّى مِن إفالٍ مُزَنَّمِ

---

١. الأرقام هي رقم الصفحات من كتابي ابن الأنباري والنحاس.

"**والإفال: الفصلان، والواحد أفيل، والأنثى أفيلة**" (ج١، ص ١١٠).

وأشار أيضاً إلى الكلمات التي تذكّر وتؤنّث كـ «الحانوت» (ج١، ص ٧٧)، و«المتن» (ج١، ص ١٠٤)، و«السِّلْم والسَّلْم» (ج١، ص ١٠٩)، و«الفرس» (ج١، ص ١٦٧)، و«الحمامة» (ج١، ص ١٦٨، ج٢، ص ١٦٨)، و«الكفّ» (ج٢، ص ٣٧)، و«المنون» (ج٢، ص ٦٥).

وقال في شرح البيت الـ٤٧ لزهير، شارحاً نقطة لطيفة في الأمر:

وَمَـــن يَعـــصِ أطـــرافَ الزُجـــاجِ فَإِنَّـــهُ يُطيـــعُ العَـــوالي رُكِّبَـــت كُـــلَّ لَهـــذَمِ

"**والعوالي جمع عالية وهي أعلى الرمح التي يكون فيها السنان [...] قال أبو عبيد القاسم بن السلام العالية والسنان واحد ومن الأشياء ما يسمّى بالمذكر والمؤنث نحو خِوان ومائدة ونحو قوله ﷻ: ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ (يوسف ١٢: ٧٢)؛ يعني الصواع وبعده: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ (يوسف ١٢: ٧٦)؛ يعني السقاية، والسقاية والصواع واحد وقال غير أبي عبيد: الصواع يذكر ويؤنث فجاء *القرآن* باللغتين**" (ج١، ص ١٢١).

٢ـ ٢ـ بيان معنى الكلمات وتوضيحه من خلال تصريف الألفاظ المذكورة في البيت بذكر ماضيه ومضارعه ومصدره

وهو مما نلاحظ عند ابن الأنباري كثيراً في شرحه، كما هو الحال في الأبيات التالية:

- «وجد»

فَمـــا وَجَـــدَت كَوَجـــدي أُمُّ سَـــقبٍ أضَـــــلَّتهُ فَرَجَّعَـــــتِ الحَنينـــــا

"**وقال الأخفش: ضَلِلْتُ أَضَلُّ، على مثال علمتُ أعلم، وضَلَلْتُ أَضِلُّ على مثال ضربت أضرب، ويقال: وجدت في الحزن وَجْداً، ووجدت على الرجل مَوجدة، ووجدت في المال وُجْداً وجِدَة، ووَجدتُ الضالّة وِجْداناً**" (ص٣٨٥).

- «بطل»

تَخـــالُ جَمـــاجِمَ الأبطـــالِ فيهـــا وُســـوقاً بِالأمـــاعِزِ يَرتَمينـــا

"**الأبطال: الأشداء، يقال بَطُلَ الرَّجلُ يَبْطُلُ بُطولةً إذا كان بَطَلاً**" (ص٣٩٦).

- «ردي»

وَكـــأنَّ المَنـــونَ تَـــردي بِنـــا أر عَـــنَ جَونـــاً يَنجـــابُ عَنـــهُ العَمـــاءُ

"**وقوله «تردي» يقال رَدَى يَردي رَدْياً ورَدْياناً، إذا رمى؛ وردِيَ يَردَى رَدَىً إذا هلك**" (ص٤٦١).

- «كافأ»

مَلِـــكٌ أضـــلَعُ البَرِيَّـــةِ لا يـــو جَـــدُ فيهـــا لِمـــا لَدَيـــهِ كِفـــاءُ

"**يقال: كافأت الرجلَ أكافئه مكافأةً وكِفاء**" (ص٤٧٦).

- «عشي»

فَـــاترُكوُا البَغـــيَ وَالتَعَـــدّي وَإمـــا تَتَعاشَـــوْا فَفـــي التَعاشـــي الـــدّاءُ

"**التّعاشي: التّعامي، يقال: تعاشَى يتعاشَى تعاشياً، وقد عَشِيَ يَعْشَى عَشىً. ويقال: عَشَوْتُ أعْشو عَشْواً إذا نظرتَ نظراً ضعيفاً**" (ص٤٧٧).

- «بسل»

وَإذا ظُلِمـــتُ فَـــإنَّ ظُلمِـــيَ باسِـــلٌ مُـــرٌّ مَذاقَتُـــهُ كَطَعـــمِ العَلقَـــمِ

"يقال رجلٌ باسلٌ وبسيل، إذا كرهت مرآه ومنظره وقد بَسُل بَسالَةً، وتَبَسَّل تَبسُّلاً" (ص٣٣٦).

- «بطؤ»

بَطـــيءٌ عَـــنِ الجُلّـــى سَـــريعٍ إلى الخَنـــا ذَلـــولٍ بأجمـــاعِ الرِّجـــالِ مُلَهَّـــدِ

"يقال: بَطُؤ يبطُؤ بُطأً وبُطْأة وبطاءً" (ص٢٢٤).

- «سنا»

يُضـــيءُ سَـــناهُ أو مَصـــابيحَ راهِـــبٍ أمـــالَ السَـــليطَ بالـــذُبالِ المُفَتَّـــلِ

"السنا: الضوء، مقصور يكتب بالألف، و يُقال في تثنيته: سنوان، ويقال في تصريفه: سَنَا يسنو سُنُوّاً" (ص١٠٠).

- «مرر»

فَمَـــرَّت كَهـــاةٌ ذاتُ خَيـــفٍ جلاَلَـــةٌ عَقيلَـــةُ شَـــيخٍ كَالوَبيـــلِ يَلَنـــدَدِ

"يقال: مَرَّ يمرُّ مروراً ومرّاً، إذا تقدّم وأسرع. ويقال: مرّة ومرّات ومرور ومرّ. [...] ويقال مرّ الشيء يَمَرُّ مرارة، وأمرّ يُمِرُّ إمراراً، إذا صار مُرّاً، ويقال: أمررتُ الحبلَ إذا أنعمت فتله وأحكمته والحبل مُمَرٌّ والرجل مُمِرٌّ" (ص٢١٩).

- «لام»

ألا أيُّهَـــذا اللائِمـــي أشْـــهدُ الـــوَغى وَأن أحْضُـــرَ اللَّـــذاتِ هَـــل أنـــتَ مُخلِـــدي

"يقال: لمتُ الرجل ألومه لوماً ولائمة وملاماً إذا عزلته ويقال: رجل لُوَمَة: يلوم الناس، ولُومَة يلومه الناس، وقد ألام الرجل فهو مليم، إذا أتى بما يُلام عليه وألأم إذا أتى باللؤم ورجلٌ مِلآم بكسر الميم والهمز إذا كان يعذر اللئام" (ص١٩٢).

إليك بعض النماذج في شرح النحاس على سبيل المثال لا الحصر:

- «شدن»

وَفي الحَـــيِّ أحـــوى يَـــنفُضُ المَـــردَ شـــادِنٌ مُظـــاهِرُ سِـــمطَي لُؤلُـــؤٍ وَزَبَرجَـــدِ

"الفعل من قوله: شادن، شَدَن يشْدُن شدوُناً يقال: شَدَنَ يَشْدُنُ إذا قوي" (ج١، ص٥٦).

- «ألّ»

مُؤَلَّلَتـــانِ تَعـــرِفُ العِتـــقَ فيهِمـــا كَســـامِعَتَي شـــاةٍ بِحَومَـــلَ مُفـــرَدِ

"وقوله مؤللتان بمنزلة الألّة وهي الحربة ويقال: ألَّ يَؤُلُّ إذا سار، وألَّ يؤلّ إلّاً: إذا صفا لونُه وأشرق، وألَّ يَؤلُّ أللاً إذا دعا وجأرَ" (ج١، ص ٧٢).

- «صَدِيَ»

كَـــريمٌ يُـــرَوّي نَفسَـــهُ في حَياتِـــهِ سَـــتَعلَمُ إن مُتنـــا غَـــداً أيُّنـــا الصَـــدي

"يقال: صَدِيَ يصدَى فهو صَدٍ وصَادٍ وصَدْيانُ" (ج١، ص ٨٢).

- «حلّ، أحرم»

جَعَلَـــنَ القَنـــانَ عَـــن يَمـــينٍ وَحَزنَـــهُ وَمَـــن بِالقَنـــانِ مِـــن مُحِـــلٌّ وَمُحـــرِمِ

"وقد حلّ من إحرامه يَحِلُّ حِلاً فهو حلال ولا يقال: حالٌّ وقد أحرم بالحجّ يُحرِمُ إحراماً فهو مُحرِمٌ وحَرامٌ" (ج١، ص ١٠٢).

- «وفر»

وَمَـــن يَجعَـــلِ المَعـــروفَ مِـــن دونِ عِرضِـــهِ يَفِـــرْهُ وَمَـــن لا يَتَّـــقِ الشَـــتمَ يُشـــتَمِ

"وقد وفَرْتُه أفِرُهُ وفارةً وَوَفْراً وَفِرَةً، وأعطى فلانٌ حقّه ووجهُه وافرٌ: أي لم ينتقصه ولفلان وفرةٌ أي شعرٌ تامٌ، والأصل في قوله: يَفِرْهُ يَوْفِرْهُ فحذفت الواو لوقوعها بين ياءٍ وكسرةٍ ثم أتبع بعض الفعل بعضاً" (ج١، ص ١٢٤).

- «وحم»

يَعلـــو بِهـــا حَـــدَبَ الإكـــامُ مُسَـــحَّجاً قَـــد رابَـــهُ عِصـــيانُها وَوِحامُهـــا

"والوحام: الشَّهوة، [...] قيل: قد وَحِمَتْ تَوْحَمُ وَحْماً والمصدر الوَحْمُ [...] قال أبو الحسن: يقال وَحِمَتْ تَوْحَمُ وَحْماً ووِحاماً إذا اشتهت الفحل" (ج١، ص ١٤٣).

- «عله»

عَلِهَـــت تَبَلّـــدُ في نِهـــاءِ صُـــعائِرٍ سَـــبعاً تُؤامـــاً كـــامِلاً أيّامُهـــا

"عَلِهَت: اشتدّ جزعها، ويقال: عَلِهَ يَعْلَه عَلَهاً" (ج١، ص ١٥٤).

- «ذاد»

لِتَـــذودَهُنَّ وَأيقَنَـــت إن لَـــم تَـــذُد أن قَـــد أحَـــمَّ مِـــنَ الحُتـــوفِ حِمامُهـــا

"قوله لتذودهنّ أي لتدفعَهنّ وتطردَهنّ، يقال: ذادَه يذوده ذياداً إذا طردَه، ويجوز ذادَه ذوداً على الأصل لأن أصل مصادر الثلاثي أن تكون على فَعْلٍ" (ج١، ص ١٥٨).

- «سبأ»

أُغلـــي السِّـــباءَ بِكُـــلِّ أدكَـــنَ عـــاتِقٍ أو جَونَـــةٍ قُـــدِحَت وَفُـــضَّ خِتامُهـــا

"يقال: سَبَأْتُ الخمرَ أسْبَؤُها سِباءً ومَسْبأً" (ج١، ص ١٦٢).

- «حَمِيَ»

وَلَقَـــد حَمَيـــتُ الحَـــيَّ تَحمِـــلُ شِـــكَّتي فُـــرْطٌ وِشـــاحِي إذ غَـــدَوتُ لِجامُهـــا

"يُقال: حميتُ الموضعَ حِمىً إذا منعتَ منه، وأحميتُه صيّرتُه حِمىً حتى لا يُقْرَب منه، وحَميتُ القومَ في الحرب حِمايَةً وحَميتُ المريضَ حِمْيَةً وأحْمَيْتُ الحديدةَ إحماءً، وتحامى القوم إذا منَعَ بعضهم بعضاً" (ج١، ص ١٦٥).

- «رقي»

تَرقـــى وَتَطعُـــنُ في العِنـــانِ وَتَنتَحـــي وِردَ الحَمامَـــــةِ إذ أَجَـــــدَّ حَمامُهـــــا

"ويقال رقيت أرقى رُقِيّاً : إذا صَعّدت ورقيتُ أَرْقَى رَقْياً من الرُقيَة، ورقَأ الدمعُ يرقَأ الدمعُ رُقُوءاً إذا انقطع" (ج١ ، ص١٦٨).

- «نذر»

الشـــاتِمَي عِرضـــي وَلَـــم أَشـــتِمهُما وَالنـــاذرَينِ إذا لَـــم أَلقَهُمـــا دَمـــي

"يُقال : نَذَرْتُ النَّذْرَ أَنْذُرُهُ هذا الفصيح ، وقد حُكي أنذِرُهُ إذا أوجَبتَه على نفسك، ويقال : نَذرْتُ بالقوم أَنذَرُ إذا علمتَ بهم فاستعددتَ لهم، وأنذرتُ دمَ فلانٍ إذا أَبَحْتَه" (٢ج ، ص ٤٧).

- «ثوى ، نجا»

غَـــيرَ أَنّـــي قَـــد أَســـتَعينُ عَلـــى الهَـــ ـــــمِّ إذا خَـــــفَّ بِـــــالثَوِيِّ النَّجـــــاءُ

"الثوي : المقيم، وهو على التكثير فإن أردت أن تُجريه على الفعل قلتَ : ثاوٍ على لغة من قال : ثَوَى يَثوِي، ومن قال : أثوى يُثْوي، قال في اسم الفاعل : مُثْوٍ، والنجاء السرعة والانكماش، يقال : نَجا يَنجو نَجاءً" (ج٢ ، ص ٥٦).

وربما أشار في شرحه إلى الفعل في أبواب المزيد المختلفة ذاكراً لازمه ومتعديه ومطاوعه ، كقوله في شرح البيت الـ٤١ لزهير:

فَشَـــدَّ وَلَـــم يُنظِـــر بُيوتـــاً كَـــثيرَةً لَـــدى حَيـــثُ ألقَـــت رَحلَهـــا أُمُّ قَشـــعَمِ

"ويقال : قَشعت الريح الترابُ فانقشع، ويقال : أقشعَ القوم عن الشيء وتَقَشَّعوا : إذا تفرّقوا عنه وتركوه" (ج١ ، ص١١٨).

أو قوله في لفظة «أقذاء» في البيت الـ٣١ للحارث:

أوسَـــكَتُّم عَنّـــا فَكُنّـــا كَمَـــن أغـــ ـــــمَضَ عَينـــاً في جَفنِهـــا أقـــذاءُ

"يقال : قد قَذيِيَتْ عينُه تَقْذَى إذا تَضَمَّنَتِ القَذى، وأقذيتُها إذا جعلت فيها القَذى، وقَذَتْ تقذِي إذا رَمَتِ القَذى وقَذَّيْتُها إذا أخرجت منها القَذَى" (ج٢ ، ص ٦٨).

٢ـ ٣ـ الاهتمام ببيان تكوين الكلمات المصغرة

قال ابن الأنباري في شرحه البيت الأربعين لعمرو :

حُـــدَيّا النـــاسِ كُلِّهِـــمُ جَميعـــاً مُقارَعَـــةً بَنـــيهِم عَـــن بَنينـــا

"وقال : حديّا تصغير حَدْوَى، كأنه قال : أحدو الناسَ كلّهم بالمقارعة ولا أهابُ أحداً فأستثنيه" (ص٣٩٩). وكذلك إشارته إلى تصغير كلمة «رويداً» في البيت الـ٤٦ لعمرو :

تَهَـــدَّدْنا وَأَوعِـــدنا رُوَيـــداً مَتـــى كُنّـــا لِأُمِّـــكَ مَقتَوينـــا

قال : "ورويداً نصب على المصدر وهو تصغير رُود ، أنشدنا أبوالعباس :

تكـــاد لا تَـــثْلَمُ البَطحـــاءَ وطأتُـــه كأنـــه ثمـــلٌ يمشـــي علـــى رُودِ"

(ابن الأنباري، ص ٤٠٣)

وذلك [الإشارة إلى تصغير الكلمات] في شرح النحاس في ستة مواضع هي:

١ـ قال في شرح لفظة «الثريا»، في البيت الـ٤٨ لامرئ القيس:

كَـــأنَّ الثُرَيّـــا عُلِّقَـــت في مَصـــامِها بِـــأمراسِ كَتّـــانٍ إلى صُـــمٍّ جَنـــدَلِ

"**الثريا تصغير ثَرْوَى مقصورةً**" (ج١، ص ٣٢).

٢ـ وفي شرحه البيت الـ٨١ لامرئ القيس:

كـــأنَّ مكـــاكيَّ الجِـــواءِ غُدَيَّـــةً صُـــبِحْنَ سُـــلافاً مِـــن رَحيـــقٍ مُفَلْفَـــلِ

"**غدية تصغير غداة ويحتمل أن يكون تصغير غُدْوَةٍ**" (ج١، ص ٤٩).

٣ـ وقال في شرح البيت الـ٢١ لزهير:

فَأصـــبَحتُما مِنهـــا عَلـــى خَـــيرِ مَـــوطِنٍ بَعيـــدَينِ فيهـــا مِـــن عُقـــوقٍ وَمَـــأثَمِ

"**والحرب مؤنثة وتصغيرها حُريب بغير هاء لأنها في الأصل مصدر**" (ج. ص ١١٠).

٤ـ وكذلك قال في البيت الـ ٤٢ لعمرو:

فَأمّـــا يَـــومَ خَشـــيَتِنا عَلَـــيهِم فَتُصـــبِحَ خَيلُنـــا عُصَـــباً ثُبينـــا

"**وتقول في تصغير ثُبَةٍ ثُبَيَّة تردّ إليها ما حُذف منها**" (ج٢. ص ١٠٧).

٥ـ وقال في شرح البيت التاسع عشر للأعشى:

صَـــدَّت هُرَيـــرَةُ عَنّـــا مـــا تُكَلِّمُنـــا جَهـــلاً بِـــأُمِّ خُلَيـــدٍ حَبـــلَ مَـــن تَصِـــلُ

"**وروى أبو عبيدة: صدّت خُلَيدةُ، وقال: هي هريرة وهي أمّ خُليد وخُليد تصغير خَلْدٍ ويجوز أن يكون تصغير خالِدٍ على حذف الألف لأنها زائدة**" (ج٢، ص ١٣٦).

٦ـ في شرح البيت الـ٦٢ للأعشى:

نَحـــنُ الفَـــوارِسُ يَـــومَ الجِنـــوِ ضـــاحِيَةً جَـــنبي فُطَيمَـــةَ لا ميـــلٌ وَلا عُـــزُلُ

قال: "**وفُطَيْمَة مصغّرة، تصغير الترخيم وهو أن تحذف زوائد الاسم حتى يصير إلى ثلاثة أحرف ثمّ تصغّر**" (ج٢، ص١٥٣). ويُلاحظ أنه أشار إلى مصطلح «تصغير الترخيم» عند الصرفيين وشرَحَه.

٢ـ ٤ـ توضيح دلالة المشتقات

كقول ابن الأنباري في إشارته إلى دلالة المصدر؛ إذ وضّح أن المصدر يتسع في الدلالة ليلعب في الجملة دور الحال؛ قال في شرح البيت الخامس لامرئ القيس:

وُقوفـــاً بِهـــا صَـــحبي عَلَـــيَّ مَطِـــيَّهُم يَقولـــونَ لا تَهلِـــك أَســـىً وَتَجَمَّـــلِ

"**قال البصريون: نصب أسىً لأنه مصدر وُضع في موضع الحال والتقدير عندهم: لا تهلك آسياً أي حزيناً**" (ص٢٥).

وأشار ابن الأنباري إلى استخدام الشاعر «أفعل» بمعنى المصدر، كقوله في شرح بيت زهير:

فَتُنتَجَ لَكُم غِلمانَ أشأَمَ كُلُّهُم كَأحمَرِ عادٍ ثُمَّ تُرضَع فَتَفطِمِ

"معناه: تنتج لكم غلمان شؤم وأشأم هو الشؤم بعينه، يقال: كانت لهم بأشأم يريد بشؤم، فلمّا جُعل مصدراً لم يُحتج إلى «مِنْ» ولو كان أفعل لم يكن له بدّ من «مِنْ»" (ص٢٦٩).

بيّن ابن الأنباري أيضاً دلالات اسم الفاعل في المواضع التي ورد فيها، منها صيغة «مُطفل» في قول امرئ القيس:

تَصُدُّ وَتُبدي عَن أَسيلٍ وَتَتَّقي بِناظِرَةٍ مِن وَحشِ وَجرَةَ مُطفِلِ

"ومُطفل: ذات طفل وهو الغزال [...] وقال ابن حبيبب مُطفل: معها طفل" (ص٥٩).

أو توضيحه في صيغة فاعل في البيت السادس لامرئ القيس:

وَإِنَّ شِفائي عَبرَةٌ مُهَراقَةٌ فَهَل عِندَ رَسمٍ دارِسٍ مِن مُعَوَّلِ

"وصف الشاعر أثر الديار بأنه دارس؛ فكأنه تعارض مع قوله قبلُ: فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها إذ كيف خبّر أنّ الرسم لم يدرس وقال في هذا البيت «عند رسم دارس»؟ [...] في هذا غير قول: قال الأصمعي: قد درس بعضه وبقي بعضه ولم يذهب إلى كله كما تقول قد درس كتابك [...] وقال أبوعبيدة: رجع فأكذب نفسه [...] وقال آخرون معناه لم يدرس رسمه من قلبي وهو في نفسه دارس [...] وقال آخرون: معنى «فهل عند رسم دارس» الاستقبال كأنه قال: فهل عند رسم سيدرس بمرور الدهر عليه وهو الساعة باقٍ, كما تقول: زيد قائم غداً، معناه: زيد يقوم غداً" (ص٢٦).

وقد يأتي اسم الفاعل واسم المفعول بمعنىً، كما هو في البيت الـ٤٨ لعنترة:

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ لا مُمعِنٍ هَرَباً وَلا مُستَسلِمِ

"المدجِّج والمدجَّج: الذي قد توارى بالسلاح، بكسر الجيم وفتحها، وقد جاءت أحرف في لفظ الفاعل والمفعول هذا أحدها" (ص٣٤٥).

إليك بعض النماذج من شرح النحاس:

- «فعيل» بمعنى «مفعول»، في لفظة «السقيّ» في البيت الـ٣٦ لامرئ القيس:

وَكَشحٍ لَطيفٍ كَالجَديلِ مُخَصَّرٍ وَساقٍ كَأُنبوبِ السَقِيِّ المُذَلَّلِ

إذ قال: "السقيّ: النخل المسقيّ، كما تقول: مررت برجل قتيل أي مقتول" (ج١، ص ٢٥).

- «فاعل» بمعنى «مفعول»، في لفظة «لاحب» في البيت الثاني عشر لطرفة:

أَمونٍ كَأَلواحِ الأَرانِ نَصَأتُها عَلى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهرُ بُرجُدِ

إذ قال: "وأما قوله: «على لاحب» في قول أهل اللغة هو الذي قد أثر فيه فيقول القائل: كان يجب على هذا أن يقول: ملحوب، فالجواب على هذا أنه يجوز أن يكون بمنزلة قوله ﷻ: ﴿مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ (الطارق ٨٦: ٦)" (ج١، ص ٦٠).

وهذا من المجاز ولكن النحاس لم يُشر إلى كونه من المجاز.

- دلالة المصدر على الكثرة؛ كـ «تشرابي» [بفتح التاء وهو المصدر ولكنه إذا كان بكسر التاء يكون اسم مصدر] في البيت الـ٥١ لطرفة:

وَما زالَ تَشرابي الخُمورَ وَلَذَّتي وَبَيعي وَإِنفاقي طَريفي وَمُتلَدي

إذ معناه شربي، "إلا أن تشراباً للكثير، و«شُرب» يقع للقليل والكثير" (ج١، ص ٧٩).

ـ «فعول» بمعنى «مفعول»، في لفظة «زبور» في البيت الثامن للبيد ومعناه مزبور أي مكتوب (ج١، ص ١٣٤).

ـ دلالة صيغ المبالغة على التكثير كـ «لوّام» في البيت الـ٥٤ للبيد (ج١، ص ١٦٠)، و«جشّام» في البيت الـ٧٨ للبيد (ج١، ص ١٧٤)، و«الثَّويّ» في البيت العاشر للحارث (ج٢، ص ٥٦)، و«شُوَل» في الرواية الأخرى للبيت الـ٢٥ للأعشى وهو بمعنى كلمة «شَوِلُ» إلا أنه للتكثير (ج٢، ص ١٣٩).

ـ دلالة المصدر على اسم الفاعل في لفظة «ربّ» في البيت الـ٣٨ للحارث:

وَهُـــوَ الـــرَبُّ وَالشَـــهيدُ عَلـــى يَـــو مِ الحَيـــــارَينِ وَالـــــبَلاءُ بَـــــلاءُ

إذ الأصل فيها أنها "**مصدر وجُعل في موضع اسم الفاعل، كما يقال: رجل عدلٌ ورضىً**" (ج٢، ص ٧٠).

٢ـ ٥ـ القلب المكاني

القلب المكاني مظهر من مظاهر التخفيف فالعرب يلجئون إلى تقديم حرف على آخر وتأخير حرف عن آخر ليخف اللفظ (النشرتي، ١٩٨٦م، ص ٦٢)، وأشار النحاس إلى ذلك في شرحه البيت الـ٤٤ للأعشى:

أبلِـــغ يَزيـــدَ بَـــني شَـــيبانَ مَألُكَـــةً أبـــا ثُبيـــتٍ أمـــا تَنفَـــكُّ تَأتَكِـــلُ

"**المألُكة: الرسالة ومَلَكٌ عند بعض أهل اللغة من هذا لأن الأصل ملأك والدليل على هذا أنه يقال في الجمع ملائكة، إلا أن هذا عند أهل النظر لا يجوز إلا على القلب، لأن مألُكَة الهمزة فيها فاء الفعل، والملأك الهمزة فيه عين الفعل وأجود من هذا أن يكون ملأك من قولهم: ملأكةٌ، لأنه قد حُكي مَلأكة بمعنى مألكة**" (ج٢، ص ١٤٨).

٢ـ ٦ـ الإبدال

الإبدال لغة: مصدر أبدل والبدل هو العوض (ابن منظور، «عوض»)، والأصل في الإبدال هو جعل الشيء مكان غيره مثل إبدالهم من الواو تاء فيقولون تالله في: والله (إبراهيم وآخرون، (عوض»). أما الإبدال في الاصطلاح فهو: «**أن تقيم حرفاً مقام حرف إما ضروره وإما صنعة وإما استحساناً**» (ابن يعيش، د.ت، ج١٠، ص ٧). وقد كان من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض حيث كانوا يقولون: مدحه ومدهه وهذا فرس رفل ورفن (ابن فارس، د.ت، ص ٣٣٣). وقيل في تعريفه: «**جعل مطلق حرف مكان آخر فخرج بالإطلاق الإعلال بالقلب لاختصاصه بحروف العلة**» (١٤١٥ق، ص ١٤٩).

ومن نماذج الإبدال قول ابن الأنباري في شرح البيت الـ٩١ لطرفة:

وَقـــالَ ذَروهُ إِنَّمـــا نَفعُهـــا لَـــهُ وَإِلا تَـــرُدّوا قاصِـــيَ البَـــركِ يَـــزدَدِ

قال ابن الأنباري: "**وزن يزدد يفتعل أصله يزتَيد، فأبدلوا من التاء دالاً لأنها أشبه بالزاي وأسكنوا الدال الثانية للجزم وجعلوا الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم أسقطوها لسكونها وسكون الدال الثانية وكسرت الدال الثانية للقافية**" (ص٢٢١).

فمنشأ هذه المماثلة الصوتية جهر الزاي وهمس التاء والدال أخت التاء في المخرج وأخت الزاي في الجهر، قربوا بعض الصوت من بعض فأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاي (ابن جنّي، ص ٧٢)، وفسّر محمود فهمي حجازي هذه الظاهرة فقال: "**فالسمة الحاسمة هنا أن الزاي صوت مجهور؛ أي أن الوترين الصوتيين يهتزان بشدة عند النطق به، أمّا التاء التي كنا نتوقعها في وزن «افتعل» من المادة «زهر» ليكون الفعل «ازتهر» فهي صوت مهموس أي: لا يتوتر الوتران الصوتيان عند نطقهما وما حدث يتخلّص في أنّ توتر الوترين**

الصوتيين في نطق الزاي استمر بعد المدة الوجيزة جداً التي ينطق فيها صوت الزاي [...] لقد استمر توتر الوترين الصوتيين عند النطق بما كان يظن أنه سيخرج تاء وهنا نطقت الدال، وهذا يعني (ز + ت) = (ز + د) أي: (مجهور + مهموس) = (مجهور + مجهور)" (ص٥١).

ومن ذلك أيضاً قول ابن الأنباري في شرح البيت الـ٥٣ لعمرو بن كلثوم إبدال الواو تاءً في كلمة «التراث» وأصله الوُرَاث لأنه فُعَال من ورثت فأبدلوا من الواو تاءً لقربها منها في المخرج (ص٤٠٦).

وقال في شرح البيت الـ٥٨ لزهير:

وَمَهمـــا تَكُـــن عِنـــدَ إمـــرِئٍ مِـــن خَليقَـــةٍ وَإن خالَهـــا تَخفـــى عَلـــى النـــاسِ تُعلَـــمِ

"**قوله «مهما» معناه وما تكن عند امرئ فأرادوا أن يصلوا «ما» بما التي يوصل بها حروف الجزاء كقولك «إمّا» و«متى ما» فثقل عليهم أن يقولوا ماما؛ لاستواء اللفظين فأبدلوا من الألف الأولى هاءً ووصلوها بالثانية فقالوا: مهما**" (ص٢٨٩).

وقال في شرح البيت الـ ٣٧ لامرئ القيس مشيراً إلى لفظة «نؤوم» بأنها تُهمز ولا تُهمز: "**فمن لم يهمزه قال: هو فعول من النوم، ومن همزه قال: الواو انضمّت صلح همزُها، كقول الله عز وجلّ: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾** (المرسلات ٧٧: ١١) **همزت الواو لما انضمت، كقول العرب: هذه أُجوهٌ حسانٌ للوجوه**" (ص٦٦).

وأشار النحاس إلى الحروف التي بُدلت من الحروف الأخرى أو الحركات من الأخرى، كالأمثلة التالية:

ـ الياء بدل من الباء في لفظة «ذِبْيان»، لأن الأصل ذُبّان (ج١، ص ١١١).

ـ الألف بدل من الهمزة في لفظة «يُبدَ» واضطرّ الشاعر أن يبدل من الهمزة ألفاً ثم حذف الألف للجزم وهذا من أقبح الضرورات (ج١، ص ١١٩).

ـ الهاء بدل من الألف في لفظة «مهما»؛ إذ الأصل في مهما «ماما»، فـ «ما» الأولى للشرط و«ما» الثانية للتوكيد واستقبحوا أن يجمعوا بينهما ولفظهما واحد، فأبدلوا من الألف هاءً (ج١، ص ١٢٥).

ـ الياء بدل من الهمزة، والألف بدل من الياء في لفظة «خطايا»، "**قال أبو إسحاق: الأصل خطايئ ثم هُمزَت الأولى كما تُهمز ياء مدائن فصارت خَطائئ، ولا يجوز أن يجمع بين همزتين، وأبدل من الثانية ياءً فصارت خطائي، ثم أبدل من الثانية ألفٌ، كما يقال: صحارى فصارت خطاءى فكرهوا أن يجمعوا بين ألفين بينهما همزة لأنه بمنزلة الجمع بين ثلاث ألفات فأبدل من الهمزة ياءً فصارت خطايا**" (ج١، ص ١٤٤).

ـ الألف بدل من إحدى الياءين في لفظة «يمانية» والأصل فيها يَمنيّة (ج٢، ص ٢٠).

ـ التاء بدل من الواو في لفظة «اتّقاه»، إذ الأصل اوتقاه، ثم أبدل من الواو تاءً لأن العرب قد يبدلون من الواو تاءً (ج٢، ص ٢٢)، وفي لفظة «التراث» في البيت الـ٥٤ لعمرو أيضاً لأن التاء أقرب الزوائد إلى الواو (ج٢، ص ١١١). وكذلك في لفظة «التلاد»، لأن الأصل فيها ما ولد عندهم (ج١، ص ١١٠).

ـ الفتحة بدل من الكسرة في لفظة «تغلَبيّ» إذ أبدل من الكسرة فتحةً لئلا يجمع بين كسرتين وياء مشددة (ج٢، ص ٧٧).

ـ الهمزة بدل من الواو في لفظة «أسؤق» (ج٢، ص ١٠٣).

ـ الكسرة بدل من الضمة في لفظة «شيب»، إذ يجب أن يضم الشين ولكن أبدلت من الضمة الكسرة لمجاورتها الياء (ج٢، ص ١٠٦)، وكذلك في لفظة «قُلوُن» أبدل من الضمة كسرةً (قِلِين) ليدلّ على أنه جمع على غير بابه، لأن الواو والنون إنما يكونان لمن يعقل وكذلك سَنَةٌ وسِنون أبدل من الفتحة كسرةً لهذا (ج٢، ص ١٢٤)، وكذلك قوله في شرح البيت الثالث لزهير:

بِهـــا العـــينُ والآرامُ يَمشـــينَ خِلفَـــةً وَأَطلاؤُهـــا يَنهَضـــنَ مِـــن كُـــلِّ مَجـــثِمِ

إذ أشار إلى أن حرفًا تأخذ الحركة التي تناسبه بسبب مجاورتها الحرف الآخر، كما أنّ العين في كلمة «العين» كُسِرت لمجاورتها الياء، لأن الأصل فيها أن تُجمع على «فُعْل»، كما نقول في جمع أحمر حمراء حُمْر (ج١، ص ١٠٠). ويبدو أن هذا القول لأبي العباس، وقال في شرح البيت التاسع للبيد مشيراً إلى قول غير أبي العباس: "**وقال غيره: كان يجب أن يكون بالواو لأنه على فُعل إلا أنهم كَرِهوا أن يكون بالواو وفي الواحد بالياء فأبدلوا من الواو ياءً وكُسِرَ ما قبل الياء**" (ج١، ص ١٣٣).

ـ الفتحة بدل من الضمة في لفظة «جُدَد» جمع جَديد وهذا الإبدال لخفة الفتحة (ج٢، ص ١٧١).

ـ الهاء بدل من الهمزة في لفظة «هُريقَ»، والأصل فيها «أريق» (ج٢، ص ١٧١).

٢ـ ٧ـ الإدغام

يعني الإدغام الإدخال من الناحية المعجمية واللغوية أما في اصطلاح العلماء فهو «**الإتيان بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد بلا فصل بينهما بحيث يرتفع اللسان وينحط بهما دفعة واحدة**» (الحملاوي، ١٤١٥ق، ص١٧٠)، ويفسر السيوطي ذلك فيقول: «**رفعك اللسان بالحرفين دفعة واحدة ووصفك إياه بهما وصفا واحدا**» (١٩٩٨م، ج ٣، ص ٤٤٢).

وذلك كقول ابن الأنباري في شرح البيت الـ١٢ لامرئ القيس:

فَظَلَّ العَذارى يَرتَمينَ بِلَحمِها وَشَحمٍ كَهُدّابِ الدِّمَقسِ المُفَتَّلِ

قال ابن الأنباري: "**العرب تقول ظَلَّ فلانٌ يفعل كذا إذا فعله نهاراً وبات يفعل كذا وكذا إذا فعله ليلاً وظلّ من الفعل «فعِل» ويَظَلُّ «يَفعَلُ» كان الأصل فيهما ظَلِلَ يَظْلَلُ؛ فكرهت العرب أن يجمع بين حرفين متحركين من جنس واحد، فأسقطوا حركة الحرف الأول وأدغموه في الثاني كما قالوا: «صمّ يَصَمُّ» والأصل فيه «صَمِم يَصْمَمُ» فأسقطوا حركة الميم الأولى وأدغموها في الثانية لما ذكرنا**" (ص٣٥).

وأشار ابن الأنباري إلى التقاء الساكنين في شرحه البيت الـ٢١ لامرئ القيس:

وَإن تَكُ قَد ساءَتكِ مِنّي خَليقَةٌ فَسُلّي ثِيابي مِن ثِيابِكِ تَنسُلِ

"**قوله «إن تك» موضع تك جزمٌ بإن، علامة الجزم فيه سكون النون والواو من تكون سقطت لاجتماع الساكنين، والساكنان الواو والنون، والنون حذفت لكثرة الاستعمال وشبّهتها العرب بالواو والياء فأسقطوها كما يسقطونها، فإذا تحرّكت النون لم يَجُز سقوطها، تقول: لم يك زيدٌ قائماً ولم يك عمرو جالساً فتسقط النون لما ذكرنا، فإذا قلت: لم يكن الرجل قائماً لم يجز سقوط النون لتحركها**" (ص٤٦).

ومما يلفت انتباهنا في مثل هذه التوضيحات من قبل الشارح أن منهجه يقوم على الإشارة إلى القاعدة العامة التي تحكم المسألة موضع الدراسة ثم شرع بالتفصيل والشرح.

ويكون التخلص من التقاء الساكنين إمّا بفتح الثاني نحو «عليّ» في قول امرئ القيس:

وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطِيَّهُم يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَمَّلِ

إذ قال الشارح: "**فعليّ صلة وقوف والياء فُتحت لاجتماع الساكنين**" (ص٢٤).

وإمّا يكون التخلص من التقائهما بسقوط الأول نحو «يَذُد» في قول زهير:

وَمَن لا يَذُد عَن حَوضِهِ بِسِلاحِهِ يُهَدَّم وَمَن لا يَظلِمِ النّاسَ يُظلَمِ

قال ابن الأنباري: "**وموضع يَذُدْ جزمٌ بمنْ وعلامة الجزم فيه سكون الدال والواو سقطت لاجتماع الساكنين**" (ص٢٨٦).

وإمّا يكون التخلص من اجتماعهما بكسر الأول نحو «يجعل» في قول زهير:

وَمَـــن يَجعَـــلِ المَعـــروفَ مِـــن دونِ عِرضِـــهِ يَفِـــرهُ وَمَـــن لا يَتَّـــقِ الشَـــتمَ يُشـــتَمِ

"**ويجعل مجزوم بمَن واللام كُسرت لاجتماع الساكنين**" (ص٢٨٧).

وأشار ابن الأنباري إلى ما التقت الحرفان من جنس واحد فحذفت إحداهما كما أشار في شرح البيت السابع لطرفة:

خَـــذولٌ تُراعـــي رَبرَبـــاً بِخَميلَـــةٍ تَنـــاوَلُ أَطـــرافَ البَريـــرِ وَتَرتَـــدي

"**وقوله «تناول أطراف البرير» أصله تتناول، لأنّه فعل للمؤنث مستقبل، قال الله عزّوجل: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ (القدر ٩٧: ٤)، تتنزّل الملائكة والروح، فمعناه تتنزّل الملائكة فاستُثقل الجمعُ بين تاءين فحُذف إحداهما. قال الفراء: يجوز أن يحذف الأولى ويجوز أن يحذف الثانية، لأنّ حركتَهما متّفقة، وقال هشام: المحذوفة هي الأولى، وقال البصريون: المحذوفة هي الثانية لأنّ الأولى علم استقبالٍ، وعَلَمُ الاستقبال لا يسقُط**" (ص١٤٣).

وذلك كقول النحاس في شرح البيت الـ٣٨ لمعلقة عمرو، مقارناً بين رأي الفراء إمام الكوفيين ورأي البصريين:

إذا مـــا عَـــيَّ بِالأســـنافِ حَـــيٌّ مِـــنَ الهَـــولِ المُشَـــبَّهِ أن يَكونـــا

"**عَيَّ: توقّف وتحيّر، والأصل فيه عَيِيَ ثم أدغم. قال الفراء: وكان يجب ألا يُدغم إلا أنه لما اجتمع حرفان من جنس واحد متحركان أدغم أحدهما في الآخر كما قُرِئ ويَحْيَيَ من حيَّ عن بَيِّنَةٍ، فإذا ثنّيت على الإدغام قلت: عَيّا وعلى الإظهار قلتَ: عَيِيا وإذا جمعت على الإدغام قلتَ: عيّوا، وهذا عند الفراء قبيح ـ أعني الإدغام في الجمع ـ وإنما قبُح عنده، لأنه يجب أن تُسكن الياء في الجمع والواو بعدها ساكنة فيجب الحذف وهو عند البصريين جيّدٌ حسنٌ، لأنه يُبنى على الواحد فيقال في الواحد عيٌّ ثم تزاد واوُ الجمع**" (ج٢، ص١٠٥).

٢ـ٨. الإعلال

هو الركن الثاني الأساسي من أركان الصرف بجانب الإبدال وله تعريفات مختلفة في الكتب الصرفية والنحوية منها أنه هو «**تغيير حرف العلة للتخفيف بقلبه أو إسكانه أو حذفه**» (الحملاوي، ١٤١٥ق، ص٣٢).

نلاحظ في الشرحين اللذين نحن بصدد دراستهما أن ابن الأنباري أشار إلى هذه الظاهرة في شرح البيت الخامس لامرئ القيس:

وُقوفـــاً بِهـــا صَـــحبي عَلَـــيَّ مَطِـــيَّهُم يَقولـــونَ لا تَهلِـــك أَســـىً وَتَجَمَّـــلِ

"**ووزن مطيّة من الفعل فَعيلَة، أصلها مَطيَوَة، فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن جُعلَتا ياء مشدودة ويقال في جمع المطية مطيات ومطيٌّ ومطايا**" (ص٢٥).

وقال في شرح البيت السادس للشاعر نفسه:

وَإِنَّ شِـــفائي عَـــبرَةٌ مُهَراقَـــةٌ فَهَـــل عِنـــدَ رَســـمٍ دارِسٍ مِـــن مُعَـــوَّلِ

ومعنى قوله مهراقة: مصبوبة، يقال أرقْتُ الماء فأنا أريقه إراقة، وهرقت الماء أهريقُه، ومن العرب من يقول: أهرقت الماء، فيزيد ألفاً قبل الهاء، ووزن أرقت: أفعلت، أصله أريَقْتُ، فألقيت فتحة الياء على الراء وصارت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها وسقطت الألف لسكونها وسكون القاف، ومن قال هرقت الماء قال: قدّرت العربُ أنّ الهمزة فاء من الفعل فأبدلوا منها هاءً كما قالوا إبريَة وهِبْرية، للذي يسقط من الرأس من الوسخ، وكما قالوا في الإغراء: إيّاك إيّاك، وهيّاك هيّاك. والذين قالوا أهرقت الماء قدّروا أن الهاء فاء من الفعل فزادوا عليها الألف ووزن مهراقة من الفعل مفعلة أصلها مريقة فألقوا فتحة الياء على الراء فصارت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها وزادوا قبل الراء الهاء التي في هرقت الماء (ص٢٦).

وكأن ابن الأنباري قد ذهب إلى أن الحرف الصحيح أولى بتحمّل الحركة من الحرف المعتلّ إذ قال: "**ووزن أرقت: أفعلت، أصله أريَقْتُ، فألقيت فتحة الياء على الراء وصارت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها وسقطت الألف لسكونها وسكون القاف**" (ص٢٦).

وقال في شرح البيت الـ٥٥ لزهير:

وَمَـــن يَجعَـــلِ المَعـــروفَ مِـــن دونِ عِرضِـــهِ يَفِـــرهُ وَمَـــن لا يَتَّـــقِ الشَّـــتمَ يُشـــتَمِ

"**يفرْه جواب الجزاء علامة الجزم فيه سكون الراء، وكان الأصل فيه يَوْفِرْه، فحُذفت الواو لوقوعها بين الكسرة والياء، كما حذفت من يزن ويلد، وقال الكسائي: حذفت الواو فرقاً بين الواقع وغير الواقع: فالواقع قولك يزن الأموال ويلد الأولاد، وغير الواقع وَجِلَ يَوْجِلُ ووَجِلَ يوحَلُ**" (ص٢٨٧). وهذا سبب آخر تحذف له الواو وهو أن تقع بين الكسرة والياء المفتوحة؛ فالكسرة تناسب الياء وصوت الواو غريب بينهما من الناحية الصوتيه، فتحذف الواو في مثل: يَفِرُ من يَوْفِرُ ويَصِلُ من يَوْصِلُ.

وقال في شرح البيت الـ٨٣ لعمرو في لفظة «ميسم»: "**أصله مِوْسَم، فلما سكنت الواو وانكسر ما قبلها صارت ياءً كما قالت العرب ميثاق وأصله مِوْثاق، لأنه مِفْعال من الوَثائق؛ الدليل على هذا أنهم يقولون في جمعه مواثيق**" (ص٤٢١).

٢ـ ٩ـ تخفيف اللفظ

ونقصد منه ترك الثقل في النطق ويُلاحظ أن ابن الأنباري أشار إلى التخفيف في مواضع مختلفة ورد في شعر المعلقات. وللتخفيف أنواع مختلفة؛ منه تخفيف الحركات في الكلمات المختلفة ومنه تخفيف الحرف أي حذفها.

أما تخفيف الحركة فقد يتحقّق التخفيف في كلمةٍ ما بتخفيف حركة الضمّة كما قال ابن الأنباري في شرح البيت السبعين لعمرو بن كلثوم:

كَـــأنَّ مُتـــونَهُنَّ مُتـــونُ غُـــدْرٍ تُصَـــفِّقُها الرِّيـــاحُ إذا جَرَينـــا

"**وتصفّقها الرياح صلة غُدْر، وأصله غُدُر فسكنّت الدال تخفيفاً وهو كقولهم: كتاب، وكُتُب وكُتْب**" (ص٤١٦). وأما الثاني أي تخفيف الحرف فقال في شرح البيت الـ ٧٤ لعمرو بن كلثوم:

بأنّـــا العاصِـــمونَ بكـــلّ كَحْـــلٍ وأنّـــا البـــاذِلونَ لِمُجْتَـــدينا

"**فالأصل في «أنّا» «أنّنا»، فحذفت النون تخفيفاً وقال الفراء: أنّا أجود من أنّنا وكلاهما جائز**" (ص٤١٨). أو قال في شرح البيت الخامس لزهير:

أثـــافِيَّ سُـــفعاً في مُعَـــرَّسِ مِرجَـــلٍ وَنُؤيـــاً كَجِـــذمِ الحَـــوضِ لَـــم يَتَـــثَلَّمِ

"**يقال: أثافيّ وأثافٍ بالتثقيل والتخفيف، واحدتها أثفية مشددة وقال هشام: إذا كانت الواحدة مشدّدة ففي الجمع التثقيل والتخفيف، كقولك: أمنيّة وأمانيّ، وأمان [...] وأثفيّة وأثافيّ وأثافٍ، وأواريّ وأوارٍ في جمع آري**" (ص٢٤١).

وهنا نلاحظ أن الشارح في شرح المسألة اهتم بالقياس وهو «**الجمع بين أول وثان يقتضيه في صحة الأول صحة الثاني وفي فساد الثاني فساد الأول**» (الرماني، ١٩٨٤م، ص ٦٦).

وقال في شرح البيت الـ٤٦ لعمرو:

تَهَـــدَّدْنا وَأوعِـــدنا رُوَيـــداً مَتـــى كُنَّـــا لِأُمِّـــكَ مَقتَوينـــا

"القتو: الخدمة خدمة الملوك خاصة والتذلّل لهم ـ ثمّ إن الشاعر اضطرّ إلى تخفيف الياء فقال مَقْتَوين يريد مَقْتَوِيين، فإذا قالوا للواحد رجل مقتويّ رجعوا إلى التشديد ففي هذا دلالة على أنّ الشاعر اضطُرّ ووُجد التخفيف في الكلام يأتي كثيراً في المشدّد، مثل نيّة ونِيَة، وطيَّة وطيَة، وأشباه ذلك" (ص٤٠٤).

في الأمثلة المذكورة تحقق التخفيف بحذف حرف كما وضّح ابن الأنباري، ويمكن أن يكون التخفيف بتسهيل الهمز أيضاً كما كان في البيت الـ ٢٣ للحارث:

فَبَقينـــا عَلـــى الشَّـــناءَةِ تَنمِيـــ ـــنا حُصـــونٌ وَعِـــزَّةٌ قَعســـاءُ

وقال ابن الأنباري: **"ويروى «تُنبيها حصونٌ»، أي ترفعها؛ أخذ من النّبوة والنباوة وهي المكان المرتفع [...] وقال أبوعبيدة: العرب تترك همز ثلاثة أحرف أصلها الهمز وهي النبي من أنبأ عن الله ﷻ والخابية وهي مأخوذة من خبأت، والذرية وهي من ذرأ الله تعالى الخلق وبعض العرب يهمز «النبي» ويخرجه على أصله"** (٤٥٨).

إليك بعض النماذج من شرح النحاس لتخفيف الألفاظ:

قال النحاس في شرح البيت الـ٦١ لامرئ القيس مشيراً إلى التخفيف بتسكين حرف ثم حذفها:

ضَـــللِيع إذا اســـتَدبَرتَهُ سَـــدَّ فَرجَـــهُ بِضَـــافٍ فُوَيـــقَ الأرضِ لَـــيسَ بِـــأعزَلِ

"وقوله بضافٍ أي بذنب ضافٍ وهو التام وأقام الصفة مقامَ الموصوف والأصل بضافي، كما تقول: سابغ، إلا أن الياءحذفت لسكونها وسكون التنوين، لأن الياء تسكن في موضع الرفع والخفض إذا كان ما قبلها مكسوراً وقول النحويين في هذا أنها أسكنت استثقالاً منهم للحركه فيها" (ج١، ص ٣٨). والأمر كذلك في لفظة «ثاوٍ» في البيت الأول للحارث والأصل فيها «ثاويٍ» واستثقل العرب الحركة في الياء فسُكّنت والتنوين بعدها ساكن فحذفت لالتقاء الساكنين (ج٢، ص ٥١).

وأيضاً في لفظة «يغلون» في البيت السادس عشر للحارث قال إنها إما أن تكون من «غلا يَغْلو» وإما أن تكون من «غلى يغلي» قد حُذفت الواو أو الياء لالتقاء الساكنين (ج٢، ص ٦٠).

يكون التخفيف حيناً بحذف الحرف لالتقاء الساكنين، كما أشار النحاس إليه في شرح البيت الثالث عشر لزهير:

بَكَـــرنَ بُكـــوراً وَاســـتَحَرنَ بِسُـــحرَةٍ فَهُـــنَّ لِـــوادي الـــرَسِّ كَاليَـــدِ لِلفَـــمِ

"الرسّ: البئر، وجمعه رِساس وحذف الياء من قوله لوادي الرَّسِّ في اللفظ لالتقاء الساكنين ولا تُحذف في الخط لأن الخطّ يُكتب على الانفصال وإذا قلت: هذا وادٍ، حذفت الياء في اللفظ والخطّ لأن التنوين لا ينفصل" (ج١، ص ١٠٥).

ويكون تخفيف الحركة في الكلمات حيناً آخر للضرورة الشعرية وللاضطرار كلفظة «التعدّي» في البيت الأربعين للحارث؛ إذ كان يجب أن تحرّك الياء لأنها في موضع النصب إلا أنه لما اضطرّ سكّن الياء (ج٢، ص ٧١)، أو في البيت الـ٨٩ لعمرو قال الشاعر «المَلْك» وأراد «المَلِك» وحذف الكسرة لثقلها (ج٢، ص ١٢٤).

وكذلك وقع التخفيف بحذف الحرف لالتقاء الساكنين وأشار إليها النحاس في شرحه، ومنها في كلمة «بالمشوف» إذ الأصل فيها «المشووف» ثم ألقيت حركة الواو على الشين فبقيت الواوُ ساكنة وبعدها واوٌ فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين (ج٢، ص ٢٦)، وإن كان هناك خلاف بين سيبويه والأخفش في المحذوفة إذ عند سيبوية أن الثانية هي المحذوفة وعند الأخفش الأولى هي المحذوفة (المصدر نفسه).

أو يكون حذف الحرف للتخفيف في الفعل المضارع معتل الفاء، كقوله في لفظة «يَفِرْه»: "**الأصل في قوله يَفِرْهُ يَوْفِرْهُ، فحذفت الواو لوقوعها بين ياءٍ وكسرة، ثم أتبع بعض الفعل بعضاً**" (ج١، ص ١٢٤).

وربما يكون التخفيف بحذف إحدى التائين من أول الفعل، كفعل «تفرّى» إذ الأصل فيه «تتفرّى» (ج١، ص ١١٦)، أو قول الشاعر «تأجّل» في البيت السابع للبيد، والأصل «تتأجّل» (ج١، ص ١٣٤)، أو «تعرّض» في البيت التاسع للبيد في قول من رواه بضمّ الضاد إذ أراد «تتعرّضُ» (ج١، ص ١٣٥)، أو «تذكّر» في البيت السادس عشر للبيد والأصل فيه «تتذكّر» (ج١، ص ١٣٨)، أو «تبلّد» في البيت الـ٤٥ للبيد والأصل فيه «تتبلّدُ» (ج١، ص ١٥٤)، أو «تعاوره» في البيت الـ٤٩ لعنترة والأصل فيه «تتعاوره» (ج٢، ص ٣١)، أو «تأتّى» في البيت الثامن للأعشى والأصل «تتأتّى» (ج٢، ص ١٣٢)، أو يكون التخفيف بحذف النون في مثل «الشاتمي عرضي» وقال إنه يقع هذا كثيراً: "**والنون تُحذف في مثل هذا كثيراً للتخفيف، تقول: جاءني الضاربا زَيْدٍ والمعنى: الضاربان زيداً، وإنما جاز أن تجمع بين الألف واللام والإضافة، لأن المعنى الضاربان زيداً**" (ج٢، ص ٤٧).

أشار في البيت الخامس لزهير «أثافيَّ سُفْعاً» إلى روايتها بتخفيف أثافٍ، وقال ناقلاً عن أبي إسحاق وغيره من العلماء: "**التخفيف أكثر في كلام العرب في أثافٍ وإنْ كان الأصل التثقيل لكثرة استعمالهم إيّاها. قال ذو الرمة:**

وهلْ يَرْجِعُ التسليمُ أو تكشِفَ العَمى ثلاثُ الأثافي والرّسومُ البلاقِعُ

قال أبو جعفر سمعتُ محمد بن الوليد يقول ما رأيتُ أحداً يروي أثافي سفعاً إلا بالتخفيف ثم سمعتُ أبا الحسن عليّ بن سليمان يُنكر هذا ويقول الوجه التثقيل لأنه الأصل والوزن فيه مستقيم" (ج١، ص ١٠١).

لم يُبد النحاس رأيه في هذا الأمر، وإنما أشار إلى آراء هؤلاء العلماء.

ذكر النحاس أيضاً اللغات المختلفة للفظة واحدة وأن العرب اختار اللغة التي فيها التخفيف، كلفظة «العَمْر» و«العُمْر» إذ قال سيبويه أن كليهما واحد إلا أن العرب لا يستعملون في القسم إلا الفتح، لأنهم مالوا إلى التخفيف لكثرة القسم في كلامهم (ج١، ص ١١٦).

٣ـ الظواهر الصوتية في شروح المعلقات

من أهم الظواهر الصوتية المشار إليها في شرح ابن الأنباري والنحاس هي الإشارة إلى إطالة الحركات وبيان ما في اللفظة من المدّ والقصر وكيفية كتابتها وإليك بعض النماذج منهما في كلا الشرحين:

٣ـ ١ـ الإشارة إلى إطالة الحركات

إذ نلاحظ أن ابن الأنباري نبّه على صلة الحركات القصار: الكسرة والضمة والفتحة بأخواتها الطوال: الياء والواو والألف، وجعل استواء وزن البيت الشعري وراء الحاجة إلى الحركات القصيرة وتحويلها إلى الحركات الطويلة، فقال في شرح البيت الـ٤٦ لمعلقة امرئ القيس:

ألا أيُّها اللَيلُ الطَويلُ ألا انْجَلي بِصُبحٍ وَما الإصباحُ فيكَ بِأمثَلِ

"**وموضع انجلى جزم على الأمر، علامة الجزم فيه سكون اللام في الأصل، ثم احتاج إلى حركتها بصلة لها ليستوي له وزن البيت فكسرها ووصل الكسرة بالياء، قال الفراء: العرب تصل الفتحة بالألف، والكسرة بالياء، والضمة بالواو**" (ص٧٨) و ذكر شواهد قرآنية وشعرية لكلّ من هذه

الحركات قائلاً: «**ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى﴾ (الأعلى ٨٧: ٦)، موضع تنسى جزم بلا على النهي والألف صلة لفتحة السين**» (ابن الأنباري، ١٩٦٩م، ص ٧٨).

ويجدر بنا الانتباه إلى آراء المفسرين في هذا المجال إذ هم على فريقين: ذهب بعضهم إلى قبول هذا التبرير (مراعاة موسيقى الكلام في فواصل الآيات) (الزمخشري، ج٤، ص ٧٤٠؛ الفخر الرازي، ١٤٢١ق، ج٣١، ص ١٢٨)، كما اعتقد الفريق الثاني كأبي حيان أن «لا» في قوله تعالى «لا تنسى» نافية ووجهوا الضعف إلى الرأي الأول (١٤٢٢ق، ج ٨، ص ٤٥٣).

ويليق بنا هنا أن نضيف النكتتين الهامتين: الأولى أن معلقة امرئ القيس هي لامية ولا يوجد في العربية ما نجده في الفارسية باسم تجديد المطلع وإذا كان كذلك لابد أن تكتب تلك الكلمة «انجل» وتقرأ «انجلي».

الثانية أن اعتبار «لا» في الآية الكريمة نافية أولى إذ يدلنا ظاهر الآيات أن الله تعالى أراد أن يقول لنبيه ﷺ أنه «لن ينسى» لا أن يُنهيه من النسيان. ولنا دليل آخر في إثبات ما ذهبنا إليه وهو الآيات الكريمة: ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِه إِنَّ عَلَينا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ (القيامة ٧٥: ١٦ و ١٧)، ﴿**وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِليكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْني عِلْماً وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبلُ فَنَسِيَ**﴾ (طه ٢٠: ١١٤ و ١١٥). ويؤكد ما قلنا قول ابن الشجري: «**فأما إثباتها في قوله تعالى فلأنه نفي لا نهي أي فلست تنسى إذا أقرأناك أعلمه الله أنه سيجعل له آية تبين بها الفضيلة له وذلك أن الملك كان ينزل عليه بالوحي فيقرؤه عليه ولا يكرره فلا يسنى شيئا مما يوحيه إليه وهو أمّي لا يخط بيده كتابا ولا يقرؤه**» (الأمالي، د.ت، ص٧٨).

واستشهد الشارح أيضا بشعر الشعراء مدعّما ما ذهب إليه بحجة الشعر كقول الشاعر:

إذا الجـــوزاء أدفـــت الثرّيـــا ظننـــت بـــآل فاطمـــة الظنونـــا

الألف في الظنون صلة لفتحة النون والموضع الذي وصلوا فيه الكسرة بالياء قول الشاعر:

ألم يأتيـــك والأنبـــاء تنمـــي بمـــا لاقـــت لبـــون بـــني زيـــاد

الياء صلة لكسرة التاء، والموضع الذي وصلوا فيه بالواو قول الشاعر:

هجـــوتَ زبّـــان ثـــمّ جئـــت معتـــذراً مـــن ســـبّ زبّـــان لم تهجـــو ولم تَـــدَع

الواو صلة لضمة الجيم» (ابن الأنباري، ١٩٦٩م، ٧٨). وقال في شرح البيت الـ٦٦ لامرئ القيس:

فَعـــادى عِـــداءً بَـــينَ ثَـــورٍ وَنَعجَـــةٍ دراكـــاً وَلَـــم يُنْضَـــحْ بِمـــاءٍ فَيُغسَـــلِ

"**ويغسل منسوق على ينضح، واللام كسرت للقافية وذلك أن المجزوم إذا احتيج إلى حركته كُسر والياء صلة لكسرة اللام**" (ص٩٦).

وقال في ذيل البيت الـ١٢ لعمرو:

وَمَتنَـــي لَدنَـــةٍ طالَـــتْ وَلانَـــتْ رَوادِفُهـــا تَنـــوءُ بِمـــا يَلينـــا

"**والألف في يلينا صلة لفتحة النون**" (ص٣٨٢).

ومنه أيضاً قول عنترة:

يَنبـــاعُ مِـــن ذِفـــرى غَضـــوبٍ جَســـرَةٍ زَيّافَـــةٍ مِثـــلَ الفَنيـــقِ المُكـــدَمِ

"**قال أكثر أهل اللغة: ينباع معناه يَنْبَعُ على مثل يَفْعَل، من نَبَعَ الماء يَنْبَع فزاد الألف على الإتباع لفتحة الباء، لأنهم ربما وصلوا الفتحة بالألف والضمة بالواو والكسرة بالياء**" (ص٣٣٢).

هذا وقد تأتي أهمية أصوات المدّ في الشعر الجاهلي الذي كان يقوم على الإنشاد والمشافهة من حيث تميزها بقوة الإسماع وهذه الخاصة بعينها "**هي التي لاحظ الدكتور طه حسين بحق أنها طابع الأدب العربي وسماها الطابع الإنشادي في الأدب**" (حسان، ص ٧١).

والنحاس أيضاً أشار إلى إشباع الحركات في الشعر، كما قال في شرحه البيت الـ٧٣ للبيد:

وَجَـــزورِ أيســـارٍ دَعَـــوتُ إلى النَّـــدَى بِمَغـــــالِقٍ مُتَشـــــابِهٍ أجســـــامُها

"**والمغالق: القداح التي يُضرب بها، الواحد مِغْلَق ومِغْلاق، فمن قال: مِغلاق فجمعه مغاليق، ومن قال: مِغْلَق، فجمعه مَغالق، إلا أنه يجوز في الشعر أن تجمع مِفْعَلاً على مَفاعيل، على أن تشبع الكسرة فتصير ياءً، كما قيل: مساجيد في جمع مسجد ودراهيم في جمع درهم**" (ج١، ص ١٧١).

إذ يُلاحظ من المثال أنه نبّه على صلة الحركة القصيرة: الكسرة بأختها الطويلة: الياء.

٣ـ ٢ـ بيان ما في اللفظة من المدّ والقصر وكيفية كتابتها

وهي كثيرة في شرح ابن الأنباري ولعلّ مردّه إلى أنّه كان يُملي شرحه وأشار إلى هذه المسائل ليسير الأمر لتلامذته الذين كانوا يكتبون ما كان يمليه عليهم، إليك نماذج منها:

- قال في لفظة «الهوينى» في البيت الـ٨٦ لعمرو: "**وسبيله أن يُكتب بالياء لأنه يجرى مجرى متى**" (ص٤٢٤).
- قال في شرح البيت السادس للحارث: "**ويقال: وهو من عُليا مَعَدّ، بضمّ العين مع القصر، ومن عَلْياء مَعَدّ بفتح العين مع المدّ**" (ص٤٣٧).
- قال في شرح البيت الـ١٨ للحارث: "**والولاء في العون ممدود، والوَلِي في المطر يُكتب بالياء**" (ص٤٥١).
- قال في لفظة «الغَرا»: "**هو ولد البقر مقصور، يُكتب بالألف لأنه من الواو، يقال في تثنيته غَرَوان**" (ص٤٥٤).
- قال في لفظة «المَلا»: "**والمَلا: ما اتسع من الأرض واستوى، مقصور غير مهموز ويُكتب بالألف والياء والألف أجود**" (ص٤٦٥).
- قال في لفظة «الألقاء» في البيت الـ٦١ للحارث: "**والألقاء خبر كأنّ، وهو ممدود واحده مقصور يُكتب بالياء**" (ص٤٨٩).
- قال في لفظة «الخَلَى» في البيت الـ٣٢ لعمرو: "**والخَلَى: الحشيش مقصور يُكتب بالياء**" (ص٣٩٦).

الخاتمة

بعد السير في صحبة شروح المعلقات (شرح ابن الأنباري والنحاس نموذجين) والتأمل فيما اشتملا عليه من شرح الألفاظ ودراسة منهجهما في بيان القضايا الصوتية والصرفية تم الحصول على عدة نتائج منها:

ـ اهتم الشارحان بالقضايا الصرفية والصوتية انسياقاً من شرح الألفاظ الصعبة للمعلقات؛ إذ ببيانها يُدرك المعنى ويتّضح.

ـ من أهم القضايا الصرفية المشار إليها في شرحيهما: الإعلال، الإبدال، التخفيف، الإدغام، والقلب.

ـ من أهم القضايا الصوتية المشار إليها في شرحيهما: إطالة الحركات، وبيان ما في اللفظة من المدّ والقصر وكيفية كتابتها.

ـ كل من الشارحين عالمان بمختلف العلوم ونهجا منهجًا امتاز بطابع الشمولية والاتساع في المعرفة والعلوم وهذا يؤدي إلى صعوبة الفصل بين تلك العلوم، كالصرف والنحو والصوتيات، ولكن عندما ضمّا علم الأصوات إلى علم الصرف فلم يضمهما

وفق تخطيط مدروس بل أشارا إلى القضايا الصوتية والصرفية إذا حصل المجال وحبذا لو كان لهما منهج ثابت في بيان القضايا الصوتية والصرفية لتكون عندنا النقاط الهامة أكثر مما بقي لنا اليوم.

ـ امتاز كل من الشارحين بطول النفس واستقلالية الرأي في الموضوعات وإن كان هذا أكثر وضوحا وجلاء عند ابن الأنباري بالنسبة إلى النحاس وذلك من خلال بيان وشرح وافيين للموضوع وضمن الأمثلة المتنوعة والبراهين المؤكدة له.

ـ بما أنهما لم يشيرا إلى الاختلافات بين العلماء في قضايا صرفية وصوتية لم يكن شرحاهما مرتعا خصبا لمعالجة تلك القضايا لمختلف المدارس وإن كانا ملاذا خصبا لذوي الاختصاص في العلوم العربية.

المصادر والمراجع

❁ ***القرآن الكريم***

١. إبراهيم مصطفى وآخرون. (١٩٦٠م). ***المعجم الوسيط***. (قام على طبعه عبد السلام هارون). القاهرة: مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية.

٢. ابن الأنباري، محمد بن القاسم. (١٩٦٩م). ***شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات***. (تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون). (ط٢). القاهرة: دار المعارف.

٣. ابن الشجري، هبة الله بن علي. (د.ت). ***الأمالي***. (تحقيق ودراسة محمود محمد الطناجي). القاهرة: مكتبة الخانجي.

٤. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. (١٩٨٨م). ***الخصائص***. (تحقيق محمد علي النجار). بيروت: المكتبة العلمية.

٥. ابن فارس، أبوالحسين أحمد بن فارس. (د.ت). ***الصاحبي***. (تحقيق السيد أحمد صقر). القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٦. ابن يعيش النحوي، يعيش. (د.ت). ***شرح المفصل***. بيروت: عالم الكتب.

٧. أبوحيان اندلسي، محمّد بن يوسف. (١٤٢٢ق). ***البحرالمحيط***. (تحقيق عادل احمد عبدالموجود وعلي محمّد معوض). (٨ ج). بيروت: دار الكتب العلمية.

٨. الحملاوي، أحمد. (١٤١٥ق). ***شذا العرف في فن الصرف***. د.م: الاعتصام وأنوار الهدى.

٩. الرماني، علي بن عيسى. (١٩٨٤م). ***رسالتان في اللغة منازل الحروف والحدود***. (تحقيق إبراهيم الأسمرائي). عمان: دار الفكر.

١٠. الزمخشري، أبوالقاسم محمود بن عمر. (د .ت). ***الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل***. (تحقيق عبدالرزاق المهدي). (٤ ج). بيروت: دار احياء التراث العربي.

١١. السيوطي، عبد الرحمن ابن أبي بكر. (١٩٩٨م). ***همع الهوامع في شرح جمع الجوامع***. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢. الفخر الرازي، محمد بن عمر. (١٤٢١ق). ***التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب من القرآن الكريم***. (٣٢ ج). بيروت: دار الكتب العلمية.

١٣. النحاس، أحمد بن محمد. (د.ت). ***شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات***. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٤. النشرتي، حمزة عبد الله. (١٩٨٦م). ***من مظاهر التخفيف في اللسان العربي***. د.م: د.ن.

١٥. دويكات. جهاد محمد إحميد. (٢٠٠٠م). «***أثر المعلقات العشر في النحو العربي***.» رسالة الماجستير. جامعة النجاح الوطنية بنابلس. كلية اللغة العربية وآدابها.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی